



مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم التربوية والاجتماعية

مجلة علمية دورية محكمة

تصدر أربع مرّات في العام خلال الأشهر
(مارس ، يونيو ، سبتمبر ، ديسمبر)

العدد	المجلد	الشهر	السنة
27	53	ربيع الأول / سبتمبر	2026 / 1448

معلومات الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية

رقم الإيداع: 1441/7131

تاريخ الإيداع: 1441/06/18

رقم ردمد : 1658-8509

النسخة الإلكترونية

رقم الإيداع: 1441/7129

تاريخ الإيداع: 1441/06/18

رقم ردمد : 1658-8495

معلومات وسائل التواصل

الموقع الإلكتروني للمجلة



<https://journals.iu.edu.sa/ESS>



ترسل البحوث على موقع المجلة

البريد الإلكتروني للمجلة



iujournal4@iu.edu.sa

حساب المجلة على منصة X



[@iujournal4](https://twitter.com/iujournal4)



مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم التربوية والاجتماعية

●
البحوث المنشورة في المجلة
تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر
بالضرورة عن رأي المجلة

●
جميع حقوق الطبع محفوظة
للجامعة الإسلامية



قواعد وضوابط النشر في المجلة

أن يتسم البحث بالأصالة والجدية والابتكار بالإضافة المعرفية في التخصص.

لم يسبق للباحث نشر بحثه.

أن لا يكون مستلّاً من أطروحة الدكتوراه أو الماجستير سواء بنظام الرسالة أو المشروع البحثي أو المقررات.

أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.

أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.

أن لا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحوث التربوية (25%)، وفي غيرها من التخصصات الاجتماعية لا تتجاوز (40%).

أن لا يتجاوز مجموع كلمات البحث (12000) كلمة بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي وقائمة المراجع.

لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.

أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA) الإصدار السابع، وفي الدراسات التاريخية نظام شيكاغو.

أن يشتمل البحث على : صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وطلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع، والملاحق اللازمة مثل: أدوات البحث، والموافقات للتطبيق على العينات وغيرها؛ إن وجدت.

أن يلتزم الباحث بترجمة المصادر العربية إلى اللغة الإنجليزية.

يرسل الباحث بحثه عبر موقع المجلة، بصيغة (WORD) وبصيغة (PDF) مع موافقته بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

لا يحق للباحث سحب البحث بعد قبوله للنشر.

المجلة لا تفرض رسوما للنشر.



الهيئة الاستشارية:

معالي أ.د : محمد بن عبدالله آل ناجي

مدير جامعة حفر الباطن سابقاً

معالي أ.د : سعيد بن عمر آل عمر

مدير جامعة الحدود الشمالية

معالي د : حسام بن عبدالوهاب زمان

رئيس هيئة تقويم التعليم والتدريب

أ. د : سليمان بن محمد البلوشي

عميد كلية التربية بجامعة السلطان قابوس

أ. د : خالد بن حامد الحازمي

أستاذ التربية الإسلامية بالجامعة الإسلامية سابقاً

أ. د : سعيد بن فالح المغامسي

أستاذ الإدارة التربوية بالجامعة الإسلامية

أ. د : عبدالله بن ناصر الوليعي

أستاذ الجغرافيا بجامعة الملك سعود





مجلة الجامعة الإسلامية
للعلوم التربوية والاجتماعية

هيئة التحرير:

رئيس التحرير:

أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن الحربي

أستاذ المناهج وطرق التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مدير التحرير:

أ.د. محمد بن جزاء بجاد الحربي

أستاذ أصول التربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أعضاء التحرير:

معالي أ.د. راتب بن سلامة السعود

وزير التعليم العالي الأردني سابقا
وأستاذ السياسات والقيادة التربوية بالجامعة الأردنية

أ.د. محمد بن يوسف عفيفي

أستاذ أصول التربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د. عبدالرحمن بن يوسف شاهين

أستاذ المناهج وطرق التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د. خالد بن إبراهيم الدغيم

أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعة القصيم

أ.د. أحمد بن محمد شبيب حسن

أستاذ علم النفس التربوي بجامعة الأزهر بالقاهرة

أ.د. ياسر بن عايد السميري

أستاذ التربية الخاصة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د. محمد بن إبراهيم الدغيري

وكيل جامعة شقراء للدراسات العليا والبحث العلمي
وأستاذ الجغرافيا الاقتصادية بجامعة القصيم

أ.د. نور هيدايانتو سيتيو بوترو

أستاذ علم النفس التربوي بجامعة نيجيري يوجياكارتا بإندونيسيا

أ.د. منصور بن سعد فرغل

أستاذ الإدارة التربوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د. إبراهيم بن علي الربيعي

أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د. رجاء بن عتيق المعيلي الحربي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د. عادل بن عيد الجهني

أستاذ أصول التربية المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د. رشدي بن مامو طاهر

أستاذ التربية الإسلامية المساعد بجامعة الأمير سونكلا بتايلاند

د. حاجي بن شيخ تونكارا

دكتورة في أصول التربية الإسلامية
والملحق القنصلي بقنصلية جامبيا في جدة

الإخراج والتنفيذ الفني:

أ. محمد بن سعد الشال

التنسيق العلمي:

أ. أحمد شفاق بن حامد

سكرتارية التحرير:

أ. سعيد يعقوب حسيني

أ. دابري عبد الكريم



فهرس المحتويات : *

م	عنوان البحث	الصفحة
1	الاختبارات الوطنية " نافس " ودورها في تعزيز الميزة التنافسية لمدارس التعليم الابتدائي من وجهة نظر المشرفين ومديري الإدارات د. أثير إبراهيم أبو عباة	12
2	التحديات التي تواجه فرق الجودة في الجامعات السعودية أثناء الاستعداد للاعتماد البرامجي - دراسة ظاهراتية د. إبراهيم بن خالد النجدي	58
3	مهارات فهم المقروء في محتوى كتب الكفايات اللغوية للمرحلة الثانوية ودرجة امتلاك الطلاب لها د. ماجد عبد الله العبادي	93
4	أثر التعزيز في تنمية الاتجاه نحو التعلم: دراسة شبه تجريبية في بيئة التعليم الجامعي الرقمي د. ثريا جبير الطلحي	142
5	انطفاء الدافعية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية من وجهة نظرهم د. عادل علي غانم السناني	178
6	واقع ممارسة القيادة الخضراء في مدارس التعليم العام بمدينة جدة د. رنده حسن مقبل الدعدي	230
7	جودة الحياة لدى طلبة الجامعة في ظل التحولات المعاصرة (جامعة طيبة نموذجاً) د. مرام حامد الحازمي	269
8	القيادة الابتكارية وعلاقتها بتحقيق الميزة التنافسية في المدارس الابتدائية بمدينة الرياض د. ندى خالد حمد السياربي	317
9	متطلبات تطوير التدريس الفعال في ضوء بيئة الذكاء الاصطناعي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بكليات عنيزة الأهلية د. سعد بن عبيد سعد الرعوجي	364
10	الصلات العلمية بين نجد والحجاز 1100 - 1157هـ (1689 - 1730م) دراسة تاريخية د. سعود بن عبد العزيز سليمان السلومي	426

* ترتيب الأبحاث حسب تاريخ ورودها للمجلة مع مراعاة تنوع التخصصات



مجلة الجامعة الإسلامية
للعلوم التربوية والاجتماعية

معرفة
e-Marefa



المنظومة
ALMANDUMAH

Arcif
Analytics

الصلات العلمية بين نجد والحجاز
1100 – 1157 هـ (1689 – 1730 م) دراسة تاريخية

Scientific ties between Najd and Hijaz
1100 – 1157 AH (1689 – 1730 AD) Historical study

إعداد

د. سعود بن عبد العزيز سليمان السلومي
أستاذ التاريخ الحديث المشارك
قسم التاريخ والحضارة – كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية –
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Dr. Saud bin Abdul Aziz Suleiman Al-Saloumi

Associate Professor of Modern History

Department of History and Civilization – College of Arabic
Language and Humanities – Islamic University of Madinah

Email: s.asallumi@iu.edu.sa

DOI: 10.36046/2162-000-027-010

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة طبيعة العلاقة العلمية والثقافية بين إقليمي نجد والحجاز خلال الفترة 1100-1157هـ (1689-1730م) والتي شهدت فيها الجزيرة العربية نشاطاً علمياً وثقافياً بارزاً ساهم في تكوين ملامح النهضة الدينية والعلمية في العصر الحديث.

يتناول البحث العوامل الاجتماعية والعلمية التي أسهمت في نشوء التواصل بين الإقليمين، مبرزاً الخصائص الثقافية والظروف التاريخية التي هيأت لقيام هذه الصلات، فُحص المبحث الأول لدراسة النشاط العلمي في نجد والحجاز وحجم التفاوت العلمي بينهما، ثم المبحث الثاني لبحث الروابط العلمية والثقافية بين نجد والحجاز من خلال تبادل الكتب والرحلات العلمية واللقاءات في مواسم الحج والعمرة، أما المبحث الثالث فتناول الرحلات العلمية من نجد إلى الحجاز، موضحاً دوافعها وآثارها في تكوين النخبة العلمية، وفي المبحث الرابع لمسار العلاقة من مرحلة التلقي إلى التجديد حيث أصبحت نجد مركزاً علمياً أثر بدوره في الفكر الحجازي لاحقاً خاصة في مجالات الإصلاح الديني والعقدي. وتوصل البحث إلى أن العلاقة بين نجد والحجاز كانت تفاعلاً علمياً وثقافياً أسهم في تشكيل الفكر الديني والعلمي في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وأن مواسم الحج والرحلات العلمية شكلت وعاءً رئيساً لهذا التواصل ونقلاً للمعرفة بين العلماء والطلاب، كما أوصى البحث بضرورة إجراء دراسات أكاديمية متخصصة حول تطور العلاقات العلمية بين الأقاليم.

الكلمات المفتاحية: نجد - الحجاز - الدعوة الإصلاحية - علماء نجد - علماء الحجاز - العلاقات الإقليمية - التواصل العلمي - الرحلات العلمية - المكتبات العلمية - الأسر العلمية

Abstract

This research aims to study the nature of the intellectual and scholarly relationship between the Najd and Hijaz regions during the period 1100-1157 AH (1689-1730 CE), a time when the Arabian Peninsula witnessed significant intellectual and scholarly activity that contributed to shaping the features of the religious and scientific renaissance of the modern era. The research examines the social and intellectual factors that contributed to the emergence of communication between the two regions, highlighting the cultural characteristics and historical circumstances that facilitated these connections. The first section is dedicated to studying scholarly activity in Najd and Hijaz and the extent of the intellectual disparity between them. The second section explores the intellectual and cultural ties between Najd and Hijaz through the exchange of books, scholarly journeys, and meetings during the Hajj and Umrah seasons. The third section addresses scholarly journeys from Najd to Hijaz, clarifying their motivations and their impact on the formation of the scholarly elite. The fourth section traces the evolution of the relationship from a phase of reception to one of renewal, whereby Najd became a scholarly center that, in turn, influenced Hijazi thought, particularly in the areas of religious and doctrinal reform. The research concluded that the relationship between Najd and Hijaz was a scientific and cultural interaction that contributed to shaping religious and scientific thought in the Arabian Peninsula in the twelfth century AH, and that the Hajj seasons formed a major vessel for this communication and transfer of knowledge between scholars and students. The research also recommended the necessity of conducting specialized academic studies on the development of scientific relations between the regions.

Keywords: Najd – Hijaz – Reformist movement – Najdi scholars – Hijazi scholars – Regional relations – Scientific exchange – Scientific expeditions – Scientific libraries – Scholarly families

المقدمة

تُعد دراسة العلاقات التاريخية بين الأقاليم والمناطق في شبه الجزيرة العربية من الموضوعات ذات الأهمية؛ إذ تكشف عن التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سبقت مرحلة التحولات الكبرى في تاريخها.

ويأتي موضوع الصلات العلمية والثقافية بين نجد والحجاز في الفترة التي سبقت قيام الدولة السعودية الأولى 1139هـ/1727م ليعبر أبعاداً حضارية وسياسية ودينية واقتصادية مهمة؛ لكون إقليم الحجاز يمثل المركز الديني والإسلامي ووجود الحرمين الشريفين، فيما يمثل إقليم نجد عمقاً جغرافياً وسكانياً حمل ملامح الاستقلالية والزعامات القبلية.

لقد شكّلت الروابط بين المنطقتين صورة متباينة بين الاتصال والانفصال، إذ تأثرت هذه العلاقات بعوامل متعددة؛ كالبنية القبلية، وطرق الحج، والحياة الاقتصادية، إضافة إلى المواقف السياسية للحكام المحليين في الحجاز من جهة، وزعماء القبائل والأمراء في نجد من جهة أخرى.

ولا شك أن فهم هذه العلاقات يسهم في إلقاء الضوء على التطورات التي مهدت لتأسيس قوة سياسية ودينية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، والتي كان لها أثر بالغ في توحيد الجزيرة العربية تحت راية واحدة.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في محاولة إبراز صورة العلاقات النجدية الحجازية على مستوى الأفراد لا القوى السياسية في تلك الفترة، وتحليل دوافعها ومظاهرها وانعكاساتها التاريخية، مع الاستعانة بالمصادر التاريخية والمراجع والدراسات الحديثة.

وقد اخترت هذا البحث الموسوم ب (الصلات العلمية والثقافية بين نجد والحجاز 1100-1157هـ (1689-1730م) دراسة تاريخية.

الدراسات السابقة:

حظي موضوع الحياة العلمية في الجزيرة العربية بعناية عدد من الباحثين، إلا أن الدراسات المتخصصة التي عالجت الصلات العلمية بين نجد والحجاز تحديداً في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري لا تزال محدودة، وغالبها تناول الموضوع من زوايا عامة أو جزئية، ويمكن استعراض أبرز الدراسات ذات الصلة بموضوع هذا البحث على النحو الآتي:

1- كتاب الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين لمؤلفه الدكتور أحمد بن عبد العزيز البسام، حيث تناول في كتابه واقع التعليم في نجد، ورصد مظاهر النشاط العلمي قبل قيام الدولة السعودية الأولى، مع تركيزه على البيئة النجدية من حيث الكتابات، والمشايخ المحليين، والنتاج الفقهي، وقد أفادت هذه الدراسة في إبراز الصورة العامة للحياة العلمية في نجد، لكنها لم تتناول بصورة تفصيلية طبيعة العلاقة العلمية بين نجد والحجاز، ولا آليات انتقال المعرفة بين الإقليمين.

2- كتاب الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري لمؤلفه الدكتور محمد علي فهميم بيومي حيث درس في كتابه الدور العلمي للمدينة المنورة، وحلقات العلم في المسجد النبوي، وأبرز العلماء الذين أسهموا في النشاط الحديث والفقهي، وقد أفادت هذه الدراسة في توضيح مكانة المدينة العلمية التي استقبلت عددًا من الطلاب النجديين، إلا أنها ركزت على المدينة من الداخل دون تتبع أثر تلك الحركة في نجد.

3- كتاب الحياة العلمية في مكة 1115-1334هـ وهي رسالة دكتوراة من إعداد الدكتور أمال رمضان صديق، حيث تناولت في رسالتها مظاهر النشاط العلمي في المسجد الحرام، والأسر العلمية المكية، والمدارس وحلقات الدرس، وقدمت صورة شاملة عن البيئة العلمية في مكة خلال فترة ممتدة تشمل جزءًا من فترة هذا البحث، لكنها لم تعالج الصلات العلمية مع نجد معالجة مستقلة.

4- كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، لمؤلفه عبدالله بن محمد البسام، حيث تضمن إشارات تاريخية مهمة حول التنقلات العلمية، وأخبار العلماء، والرحلات بين الأقاليم، إلا أن هذه الإشارات جاءت متناثرة ضمن سياق تاريخي عام، ولم تُفرد الدراسة لهذه الروابط العلمية تحليلًا مستقلًا.

5- كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية لمؤلفه الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، حيث تناول الكتاب أثر الدعوة الإصلاحية في تشكيل الحياة الدينية والعلمية في نجد والحجاز، وأشار إلى مرحلة ما قبل الإصلاح، إلا أن تركيزه كان سياسيًا وتاريخيًا أكثر من كونه علميًا ثقافيًا.

6- كتاب نجد قبل الوهابية لمؤلفه الدكتور عويضة الجهني، حيث تناول المؤلف الأوضاع الاجتماعية والسياسية والدينية في نجد قبل ظهور الدعوة الإصلاحية، مع إبراز بعض مظاهر التدين

والواقع العقدي في المنطقة، وأشار إلى تأثير نجد بالمراكز الدينية خارج الإقليم، ومنها الحجاز؛ غير أن الدراسة جاءت عامة في تناولها، ولم تُفرد بحثًا مستقلًا لتحليل الصلات العلمية المباشرة بين نجد والحجاز، ولا آليات انتقال المعرفة بين الإقليمين خلال الفترة محل الدراسة.

وإجمالاً، يتضح من خلال استعراض هذه الدراسات أن معظمها تناول الحياة العلمية في نجد أو الحجاز كلٌّ على حدة، أو التركيز على الجوانب السياسية والفكرية العامة، في حين لم تحظ الصلات العلمية والثقافية المباشرة بين الإقليمين خلال الفترة (1100-1157هـ) بدراسة مستقلة شاملة.

ومن هنا تأتي هذه المحاولة في المساهمة لإبراز التفاعل العلمي بين نجد والحجاز في هذه المرحلة التي سبقت الدعوة الإصلاحية من خلال تحليل المواقف العلمية، معتمداً على المصادر التاريخية والمراجع المعاصرة.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة هذا البحث حول غياب الدراسة التفصيلية المستقلة التي تتناول طبيعة الصلات العلمية والثقافية بين نجد والحجاز خلال الفترة (1100-1157هـ / 1689-1730م)، بوصفها مرحلة تاريخية مهمة، فعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت الحياة العلمية في نجد، أو النشاط العلمي في الحرمين الشريفين، أو تاريخ الدعوة الإصلاحية، إلا أن معظم هذه الدراسات لم تعالج بصورة مباشرة العلاقة العلمية المتبادلة بين الإقليمين، ولا آليات انتقال المعرفة، ولا أثر الرحلات والإجازات والتواصل العلمي بين الإقليمين.

كما أن بعض التصورات السائدة اختزلت هذه العلاقة في اتجاه واحد من التأثير، دون إبراز حقيقة التفاعل المتبادل بين نجد والحجاز، ولا دور الحج، والمكتبات، والعلماء، والحراك السكاني في بناء هذا التواصل العلمي والفكري.

ومن هنا تتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة العلمية الدقيقة عن طبيعة هذه الصلات، وخصائصها، وآلياتها، وحدود تأثيرها في تشكيل الواقع العلمي والفكري في نجد قبيل مرحلة التجديد والإصلاح.

تساؤلات البحث:

- ينطلق هذا البحث للإجابة عن مجموعة من التساؤلات الرئيسة، من أبرزها:
- ما ملامح البيئة العلمية في نجد والحجاز خلال الفترة (1100-1157هـ)؟
- ما طبيعة الصلات العلمية والثقافية التي نشأت بين الإقليمين، وما أبرز مظاهرها؟
- كيف انتقلت العلوم والكتب والمناهج العلمية من الحجاز إلى نجد؟
- ما مدى تأثير النجديين بالتيارات الدينية والعلمية السائدة في الحجاز؟
- كيف انتقلت نجد من مرحلة التلقي إلى مرحلة التجديد والتأثير؟

أهداف الدراسة:

1. تحليل البيئة الاجتماعية والعلمية في إقليمي نجد والحجاز خلال الفترة 1100-1157هـ (1689-1730م)؛ للكشف عن طبيعة الحياة العلمية في تلك المرحلة.
2. رصد مظاهر النشاط العلمي في الإقليمين من خلال المدارس والمساجد وحلقات العلم، والتعرف على أبرز الاتجاهات العلمية والفقهية السائدة فيهما.
3. إبراز الروابط العلمية والثقافية بين نجد والحجاز، ودراسة مظاهر التفاعل المعرفي المتمثلة في تبادل المؤلفات والمراسلات العلمية واللقاءات في مواسم الحج، والهجرات السكانية.
4. تتبع الرحلات العلمية من نجد إلى الحجاز وبيان دوافعها وآثارها في تكوين المدرسة العلمية النجدية، ودورها في نقل الفكر والعلوم بين الإقليمين.
5. تحليل التحول الفكري والعلمي من مرحلة التلقي في نجد إلى مرحلة التجديد والتأثير المتبادل، مع إبراز أثر ذلك في النهضة العلمية والإصلاح الديني.
6. إثراء الدراسات التاريخية السعودية بإبراز العلاقة العلمية بين الإقليمين بوصفها منطلقاً للوحدة الفكرية والعلمية في الدولة السعودية الحديثة.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي بوصفه الأنسب لطبيعة الموضوع، إذ يقوم على تتبع الأحداث والوقائع العلمية وتحليلها في سياقها الزمني والجغرافي، وقد تم توظيف هذا المنهج

في تتبع نشأة الروابط العلمية بين إقليمي نجد والحجاز وتطورها، وتحليل العوامل التي أسهمت في استمرارها وتأثيرها المتبادل.

كما استعانت الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي في رصد مظاهر النشاط العلمي والثقافي، واستقراء الرحلات العلمية والمراسلات الفكرية، وتحليلها من خلال النصوص التاريخية والمصادر المعاصرة لتلك الحقبة.

واعتمد الباحث على المنهج المقارن عند دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين البيئتين العلميتين في نجد والحجاز، بهدف إبراز طبيعة التفاعل بين الإقليمين في مجالات التعليم والفكر والثقافة.

وقد استندت الدراسة إلى طائفة من المصادر الأصلية والمراجع الحديثة، شملت كتب التراجم والطبقات، وأبرز المصادر التاريخية النجدية والحجازية، إضافة إلى الدراسات العلمية الحديثة التي تناولت النشاط العلمي والثقافي في الجزيرة العربية خلال فترة الدراسة.

خطة البحث:

اشتملت الدراسة على تمهيدٍ وأربعة مباحث، ثم خُتمت بأهم النتائج، وجاءت على النحو التالي:

التمهيد: قراءة في البيئة الاجتماعية والعلمية لإقليمي نجد والحجاز.

المبحث الأول: مظاهر النشاط العلمي في نجد والحجاز.

المبحث الثاني: الروابط العلمية والثقافية بين نجد والحجاز

المبحث الثالث: الرحلات العلمية من نجد إلى الحجاز.

المبحث الرابع: نجد والحجاز من التلقي إلى التجديد.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

التمهيد: قراءة في البيئة الاجتماعية والعلمية لإقليمي نجد والحجاز.

تُعدّ دراسة العلاقات بين نجد والحجاز خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي من القضايا التاريخية والفكرية بالغة الأهمية في مسار الجزيرة العربية، فالحجاز لم يكن مجرد إقليم جغرافي أو سياسي، بل كان قلب العالم الإسلامي ومركز إشعاع علمي

وثقافي وديني على مرّ القرون، وقد ارتبطت به أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فكان مقصد العلماء والفقهاء وطلاب العلم، ومحوراً لتلاقي الثقافات الإسلامية المختلفة، في حين أن نجد تمثل البيئة الداخلية للجزيرة العربية ذات الخصوصية الجغرافية والاجتماعية، لكنها لم تكن بعيدة عن التأثير بالحجاز، بل كانت في موقع المتلقي والناقل لهذه المؤثرات.

لقد شكّل الحجاز بالنسبة إلى نجد شريان حياة للعلم والمعرفة، فطلاب العلم النجديون وجدوا في حلقات الحرمين الشريفين المنبع الأصيل للعلوم الشرعية، وحملوا معهم بعد عودتهم ما تلقوه من علوم الفقه والحديث والتفسير واللغة، إضافة إلى المخطوطات والكتب التي كوّنت نواة مكتبات خاصة في نجد.

لم يكن الأثر مقتصرًا على الجانب العلمي وطلاب العلم، بل شمل أيضًا انتقال بعض الممارسات البدعية إلى أوساط العامة في نجد، مثل بعض صور التصوف في الأذكار أو الأدعية، أو التعلق ببعض الصالحين، مما انعكس على التدين عند بعض النجديين وأسهم في تشكيل بيئة متناقضة بين التقليد والبحث عن الإصلاح⁽¹⁾.

وإذا كان الحجاز قد مثّل بالنسبة إلى نجد المصدر العلمي والثقافي الأول، فإن نجد بدورها مثّلت المتلقي الحافظ لهذه المؤثرات، ثم المعيد إنتاجها في سياق محلي خاص، ومع مرور الوقت نشأت في نجد طبقة من العلماء الذين برزوا نسبيًا في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي خاصة إذا ما تمّ مقارنتهم مع علماء القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/السادس عشر والسابع عشر الميلادي⁽²⁾، وكان لهم دور في ترسيخ الحياة العلمية، وفي الوقت نفسه التمهيد لتلقي أو مناقشة الدعوة الإصلاحية لاحقاً.

(1) الفاخري، محمد عمر: تاريخ الفاخري، تحقيق: يوسف بن عبدالله الشبل، دار الملك عبدالعزيز، الرياض عام 1419 ص 23. ابن غنام، حسين بن أبي بكر: روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، تحقيق سليمان الخراشي، الرياض، دار التلوثة، 2010م ص 176-177

(2) The History of Najd Prior to the Wahhabis: A Study of Social, Political and Religious Conditions in Najd During the Three Centuries Preceding the Wahhabi Reform Movement.

ترجمة: إحسان زكي، جسور للترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 2016، ص 232

إن دراسة هذه العلاقات تتيح لنا فهمًا أعمق للتحويلات الفكرية التي شهدتها الجزيرة العربية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي فهي تكشف عن طبيعة التداخل بين المركز (الحجاز) والأطراف (نجد)، وعن كيفية انتقال المعرفة عبر الرحلات العلمية، وعن الدور الذي لعبه موسم الحج في ربط نجد بالعالم الإسلامي الواسع، كما أنها تبرز كيف أدى التفاعل بين الفكر الحجازي المتنوع والتيارات الصوفية من جهة، وبين الذهنية النجدية المحافظة والناقدة من جهة أخرى، إلى نشوء بيئة إصلاحية صارمة مهدت للدعوة.

من هنا، فإن هذا البحث يسعى إلى إلقاء الضوء على جذور العلاقة العلمية والثقافية والفكرية بين نجد والحجاز قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وذلك من خلال تتبع حركة العلماء والكتب، ودراسة أثر الحجاز في تكوين الحياة العلمية النجدية، وتحليل انعكاسات هذه الصلة على الفكر النجدي وممارساته الدينية.

المبحث الأول: مظاهر النشاط العلمي في نجد والحجاز:

لم يكن الحجاز في مطلع القرن الثاني عشر الهجري/نهاية السابع عشر الميلادي مجرد إقليم ديني يقصد للحج والعمرة فحسب، بل كان أيضًا مركزًا معرفيًا مزدهرًا، فالمسجد الحرام والمسجد النبوي يحتضنان العديد من حلقات التدريس المتواصلة، التي جمعت بين علوم الفقه والحديث والقراءات والتفسير واللغة، إضافة إلى ما كان يُلقى من المجالس في السلوك والأدب⁽¹⁾.

لقد كان المسجد الحرام في مكة المكرمة محور الحركة العلمية، حيث توزعت في جنبات المسجد حلقات العلماء من مختلف المذاهب الفقهية والعلماء، ووجد من بين أولئك العلماء من وفد إلى مكة واستقر بها، وهذا ما كان يميّز الدروس العلمية في المسجد الحرام على خلاف ما جرت عليه عادة كثير من الأمصار أو الأقاليم ذات المذهب الواحد، كان من هؤلاء العلماء الشيخ عبد الله بن

(1) بيومي، محمد علي فهمي: الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري، دار القاهرة بمصر، الطبعة الأولى

سالم البصري⁽¹⁾، الذي وفد من البصرة واستقر بمكة واشتهر بإجازاته الواسعة في علوم الحديث، وقد أجاز عددًا من طلاب نجد الذين قصدوه في تلك الفترة⁽²⁾.

كما شهد المسجد الحرام في تلك الفترة نشاطًا لعدد من الأسر العلمية المكية، مثل آل الفاسي⁽³⁾ وآل الصديقي⁽⁴⁾ وآل الكردي⁽⁵⁾، الذين تولوا التدريس في أروقة الحرم، وأسهموا في نشاط حلقات الفقه والحديث. ومن هؤلاء محمد بن علان الصديقي المكي⁽⁶⁾ الذي ذاع صيته في الشرح والتأليف، ومحمد بن أحمد الكردي⁽⁷⁾ الذي عُرف بتمكنه في الفقه الشافعي. وقد شكّل هؤلاء معًا طبقة علمية ثرية جعلت مكة المكرمة مقصدًا رئيسًا لطلاب العلم، ومن بينهم النجديون الذين نخلوا من هذه الحلقات وأخذوا عن شيوخها.

(1) عبد الله بن سالم البصري: محدث وفقه من فقهاء الشافعية، أصله من البصرة واستقر بمكة حتى وفاته سنة 1134 هـ.

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 88/4

(2) الزركلي، مرجع سابق: 88/4

(3) آل الفاسي: من أشهر الأسر العلمية في مكة المكرمة، برز منها عدد من العلماء والفقهاء والمحدثين تولوا التدريس في المسجد الحرام من أبرزهم تقي الدين الفاسي الجد الأعلى لهذه الأسرة وكتابه الشهير العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

انظر: الزركلي، مرجع سابق، 7 / 109

(4) آل الصديقي: أسرة علمية مكية عُرفت بالفقه والتدريس، وكان منها عدد من العلماء الذين نشطوا في حلقات المسجد الحرام منذ القرن العاشر الهجري، وامتد أثرهم إلى القرن الثاني عشر، كان منهم الشيخ محمد بن أحمد الكردي انظر:

الزركلي، مرجع سابق، 6 / 268

(5) آل الكردي: أسرة كردية الأصل استقرت في مكة، تميزت بالعلم والتدريس في الفقه الشافعي، وتولى بعض أفرادها الإفتاء والتدريس بالمسجد الحرام. انظر: الفاسي، محمد بن أحمد بن علي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، القاهرة: دار الكتب

العلمية، 2 / 200

(6) محمد بن علان الصديقي المكي، فقيه شافعي ومحدث، ولد ونشأ بمكة، برع في الفقه والحديث والتفسير. من أشهر مؤلفاته: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، وكان له أثر واسع في الحلقات العلمية بالحرم المكي توفي عام 1057 هـ

تقريبًا. انظر: الزركلي، مرجع سابق، 6 / 216.

(7) محمد بن أحمد الكردي: عالم بالفقه الشافعي وأحد كبار مدرسيه في المسجد الحرام، أصله من أسرة كردية استقرت بمكة واشتهرت بالتدريس والإفتاء. كان له طلاب كثر من الحجاز والجزيرة، واعتمدت حلقاته على كتب الشافعية الكبرى توفي

عام 1116 هـ. انظر: الزركلي، مرجع سابق، 6 / 268

كما كان لمواسم الحج دور رئيس في ازدهار النشاط العلمي، إذ يلتقي العلماء القادمون من المغرب واليمن والهند والشام، فيعقدون مجالس مؤقتة بجوار الكعبة أو في أروقة المسجد الحرم، ومن خلالها يحصل الطلاب على إجازات من شيوخ لم يلتقوا بهم من قبل⁽¹⁾.

أما المدينة المنورة، فقد ظلت محتفظة بمكانتها بوصفها دار السنة النبوية ومهوى طلاب العلم والمجاورين، حيث نشطت فيها حلقات التدريس في المسجد النبوي، ومن أبرز علمائها في تلك الفترة الشيخ إبراهيم الكردي⁽²⁾، والشيخ محمد حياة السندي⁽³⁾ اللذان كان لهما أثر واضح في تكوين عدد من العلماء النجديين، كان من أبرزهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثناء إقامته في المدينة دراساً فيها، وقد امتاز أسلوب الشيخ محمد حياة بالوضوح في نقد بعض الممارسات الدينية التي شاعت في أرجاء المدينة آنذاك، مما جعله ذا أثر بالغ في توجيه طلابه⁽⁴⁾.

كما احتضنت المدينة مكتبات علمية قيمة، منها مكتبة المسجد النبوي التي ضمت نفائس المخطوطات، إلى جانب مكتبات خاصة مثل مكتبة آل الكردي، وكانت مصدراً لطلاب العلم العائدين إلى نجد في تلك الفترة⁽⁵⁾.

ولم تقتصر الحركة العلمية على الحرمين الشريفين؛ فقد عُرفت جدة بوصفها معبراً للتجار والعلماء والكتب، وكانت تصل إليها مؤلفات قادمة من الهند واليمن ومصر، ومنها تُنقل إلى الحجاز ثم إلى

(1) الفاسي، محمد بن أحمد بن علي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، بيروت: دار الثقافة العربية، 2/ 144.
(2) إبراهيم بن أحمد الكردي المدني فقيه ومحدث من علماء المدينة، تولى التدريس في المسجد النبوي، وامتاز منهجه بالجمع بين الفقه الشافعي الدقيق والاهتمام بعلوم الحديث والإسناد، توفي بالمدينة عام 1101 هـ الزركلي، مرجع سابق 74/1.
(3) محمد حياة السندي: ولد في بلاد السند، ولم تعرف سنة ولادته، ولا العام الذي استقر فيه بالمدينة، عالم من علماء الحديث بالمسجد النبوي الشريف، له مصنفات منها (شرح الترغيب والترهيب للمنزري) و (مقدمة في العقائد) و (تحفة المحبين) في شرح الأربعين النووية، و (شرح الحكم العطائية) وغير من المصنفات، وكان ممن تتلمذ على يديه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين قدم إلى المدينة أثناء رحلاته العلمية، توفي رحمه الله في شهر صفر من عام 1163 هـ. انظر: ابن بشر، عثمان بن عبد الله: عنوان المجد في تاريخ نجد، دار الملك عبد العزيز، الطبعة الرابعة 1402 هـ 1/ 98. الزركلي مرجع سابق، 11/6. تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن (12) الهجري، لمؤلف مجهول، تحقيق: محمد التونجي، دار الشروق بجدة، الطبعة الأولى عام 1404 هـ، ص 68.

(4) أبو علي، عبد الفتاح حسن: تاريخ الدولة السعودية الأولى، الرياض: دار العلوم، ص 62.

(5) شفاء الغرام، مرجع سابق، 2/ 144.

نجد. أما الطائف فكانت مقرًا لبعض القضاة والفقهاء، وأسهمت بدورها في نقل المعرفة إلى الداخل النجدي⁽¹⁾.

أما العلوم السائدة التي كانت تدرس في الحرمين الشريفين، فقد تركزت على الفقه بمذاهبه الأربعة، وعلوم الحديث رواية ودراسة، وشرح النووي وابن حجر، والتفاسير مثل البيضاوي والجلالين، وعلوم اللغة لابن هشام والسيوطي⁽²⁾.

كما شهد الحجاز في تلك الفترة انتشارًا لبعض طرق الصوفية، ولا سيما في مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث اختلطت النزعة العلمية بالنزعة التعبدية عند البعض، وقد شكّلت الزوايا الصوفية⁽³⁾ والمجالس جزءًا من حياة البعض في الحجاز في تلك الفترة إلى جانب حلقات العلم التقليدية في الفقه والحديث، من أبرز تلك الطرق الطريقة القادرية⁽⁴⁾ وكانت تُتلى أوراها في أوقات محددة بالمسجد الحرام، والطريقة الشاذلية⁽⁵⁾ التي كان لها أتباع من علماء المغرب ومصر المقيمين في

(1) العثيمين، عبد الله صالح: تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان الرياض، 1/ 115

(2) عبد الفتاح أبو علي، مرجع سابق، ص 61-63

(3) الزوايا: مكان يُنشئه أحد شيوخ الطرق الصوفية داخل المسجد أو في بنية مستقلة، تُقام فيه حلقات الذكر وتربية المريدين وتنظيم شعائر الطريقة، وغالبًا تُنسب الزاوية إلى مؤسسها أو إلى شخصية لها صلة بالطريقة، وقد تُلحق بها أحيانًا مقبرة الشيخ أو صاحب المكان، وتُعد الزاوية مكانًا يجتمع فيه المريدون تحت شيخ الطريق لتلقي الذكر والتعليم، وتُعرف عند بعض المتصوفة بالزاوية ذات الولي. المقوشي، منيرة بنت عبد العزيز: إحياء الآثار دراسة عقدية، دار الأمجاد، الطبعة الثالثة 1445هـ، ص 299

(4) الطريقة القادرية: نشأت الطريقة القادرية على يد عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 561هـ في بغداد، ودعت إلى الزهد والعبادة وكثرة الذكر وتحذيب النفس، وانتشرت في العراق ثم في المشرق والمغرب، غير أن بعض أتباعها غلوا في مؤسسها فنسبوا إليه قدرات فوق بشرية كعلم الغيب والتصرف في الكون وإحياء الموتى، وهو ما شكّل انحرافًا عقديًا عن أصل التوحيد. العمري، عبد الهادي بن عوض: آراء ابن عجيبة العقدية - عرضًا ونقدًا -، رسالة دكتوراة، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية أصول الدين بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٤١ هـ، ص 51

(5) الطريقة الشاذلية: طريقة صوفية ظهرت في القرن السابع الهجري تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي، انتشرت في عدد من أقطار العالم الإسلامي، وتقوم على جملة من المخالفات العقدية، من أبرزها اعتماد الكشف والإلهام، وتقرير مفاهيم خاصة في الولاية والكرامة، وما ترتب على ذلك من مظاهر الغلو في الأولياء، إضافة إلى القول بمسائل كالحقيقة المحمدية ووحدة الوجود وغيرها من المعتقدات الفاسدة. العتيبي، خالد بن ناصر: الطريقة الشاذلية عرض ونقد، مكتبة الرشد، الطبعة

مكة، والطريقة النقشبندية⁽¹⁾ المنتشرة بين بعض الوافدين من المشرق، وكذا الحال في المدينة المنورة، فقد كان التصوف عند البعض أكثر ميلاً من الجانب العلمي، وكانت الزوايا الصوفية تؤدي أدواراً متعددة، منها الضيافة التعليمية للوافدين وطلاب العلم، ونشر الأوراد والمناقب والقصائد، والمشاركة في حلقات الذكر غير أن هذه الممارسات لم تقف عند هذا الحد بل تجاوزته إلى مظاهر التوسل بالأولياء وزيارة القبور وبناء القباب عليها والطواف بها، حتى أصبحت مشكلة دينية ظاهرة في مدن الحجاز بشكل عام، وقد كان لهذه النزعة الصوفية أثر مباشر في تشكيل الوعي الديني في نجد، إذ نقل بعض النجديين تلك المظاهر بعد عودتهم من الحجاز، مما هيأ بيئة فكرية لاحقة لتجدد النقاش حول البدع والممارسات الشركية التي تتنافى مع نصوص الشريعة والعقيدة.⁽²⁾

كما كان للمكتبات في الحجاز خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي مكانة علمية رفيعة، إذ مثلت مكتبة المسجد الحرام بمكة المكرمة مركزاً علمياً مهماً لطلاب العلم الوافدين من مختلف الأقاليم، واحتوت على نفائس المخطوطات في الفقه والحديث والتفسير وعلوم العربية، وقد أتاحت هذه المكتبة لطلاب العلم النجديين الاطلاع على مؤلفات لم تكن متاحة في بيئاتهم، مثل فتح الباري لابن حجر العسقلاني وشرح صحيح مسلم للنووي ومجموع الفتاوى لابن تيمية وزاد المعاد لابن القيم وهي الكتب التي أسهمت لاحقاً في تكوين المنهج العلمي لعلماء نجد.⁽³⁾

الأولى، 1432هـ، ص 27

(1) الطريقة النقشبندية: تُنسب إلى بهاء الدين البخاري المعروف بشاه نقشبند والمتوفى سنة 791هـ، وظهرت في بخارى قبل أن تنتشر في فارس والهند وآسيا الوسطى، تقوم على الذكر الخفي والمراقبة والتوبة، غير أنّ المنتسبين إليها غلوا في مشايخهم فنسبوا لهم التصرف في الكون والاستجابة للدعاء وزعموا بأن الولي يقول: للشيء كن فيكون، كما احتوت طرقهم أصنافاً شريكية في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية. انظر: عبدالهادي العمري، مرجع سابق، ص 51

(2) بيومي، مرجع سابق، ص 62. العثيمين، مرجع سابق، 115/1

(3) عبد الفتاح أبو عليّة، مرجع سابق، ص 61-63

كما عُرفت مكة المكرمة بوجود مكتبات خاصة لدى الأسر العلمية الكبرى، مثل آل الفاسي وآل الصديقي وآل الكردي، حيث ضمت مكتباتهم كتباً نادرة في شتى الفنون، وكان طلاب العلم الوافدون إلى مكة ينسخون منها أو يشترون نسخاً تعينهم بعد عودتهم إلى بلدانهم.⁽¹⁾

أما المدينة المنورة، فقد احتضنت مكتبة المسجد النبوي الشريف التي عُرفت منذ القرون الأولى داراً للمصنفات الحديثية والفقهية، وكانت تُعدّ ثاني أهم مكتبة في الحجاز بعد مكتبة المسجد الحرام، وقد تولّى الإشراف عليها عدد من كبار العلماء والمحدثين، وكان يُتاح لطلاب العلم نسخ المخطوطات والاطلاع عليها داخل أروقة المسجد، واحتوت المكتبة على كتب نادرة مثل السنن الكبرى للبيهقي والموطأ برواياته، وشرح الكرماني على البخاري، إلى جانب شروح الحديث المعتمدة كفتح الباري والمنهاج.⁽²⁾

كما وُجدت في المدينة مكتبات خاصة لعدد من العلماء، أبرزهم الشيخ محمد حياة السندي الذي عُرف بامتلاكه مكتبة عامرة تضم أمهات كتب الحديث وعلوم الإسناد، وكانت مقصداً لطلاب العلم من الحجاز ونجد والهند، ومن تلك المكتبات أيضاً مكتبة الشيخ محمد البرزنجي⁽³⁾ التي تضمنت نفائس من المؤلفات المصرية، وغيرها من المكتبات الخاصة.⁽⁴⁾

وعليه يمكن القول بأن مكتبات المدينة المنورة تعد امتداداً علمياً لمكتبات مكة، كما أسهمت بدورها في حفظ التراث الحديثي ونقله، وفي ترسيخ الصلة العلمية بين الحرمين الشريفين ونجد، مما جعلها أحد الجسور المعرفية الكبرى التي مهدت لظهور المدارس العلمية النجدية لاحقاً.⁽⁵⁾

(1) الأعلام، مرجع سابق، 216/6

(2) العثيمين، مرجع سابق 1/ 115-117

(3) البرزنجي: محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الحسني البرزنجي، أصولي من علماء الشافعية بالمدينة، عالم بالتفسير والأدب. برزنجي الأصل ولد عام 1040 هـ وتعلم بشهرزور، انتقل إلى العديد من الأمصار وأخذ عن علمائها. ثم استقر بالمدينة ودرس بها إلى أن توفي فيها عام 1103 هـ. الأعلام، مرجع سابق، 204-203/6

(4) محمد بيومي، مرجع سابق ص 57-59

(5) عبد الفتاح أبو عليّة، مرجع سابق، ص 63

وإذا كان إقليم الحجاز قد مثّل مركزاً علمياً راسخاً في تلك المرحلة بما تزخر به من مكتبات وعلماء وحلقات علمية، فإن نجد شهدت بدايات تعليمية متواضعة أخذت تتشكل تدريجياً متأثرة بالحركة العلمية من خلال ما يصل إليها من علوم ومعارف من خارج الإقليم.

حيث اتسم التعليم في نجد خلال تلك الحقبة بالبساطة والوضوح، فكان يركّز على تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وهي الأسس التي قامت عليها النهضة العلمية في هذا الإقليم لاحقاً حيث مثّل الفقر وضيق الموارد الاقتصادية في نجد عاملاً رئيساً في محدودية النشاط العلمي، إذ كان أغلب السكان يعيشون حياة الكفاف، الأمر الذي جعل الانصراف إلى طلب العلم يتأثر بضرورات المعيشة اليومية، ولم تكن الموارد المتاحة كافية لإنشاء مدارس أو مكتبات أو تخصيص أوقاف علمية كما هو الحال في الحجاز، مما جعل التعليم يعتمد على الجهود الفردية والمبادرات الأهلية البسيطة. كما أن طبيعة حياة البادية وانتشار القبائل الرحّل في مناطق واسعة من نجد أسهمت في ضعف انتشار التعليم، لأن وضع البادية بطبيعته لا يسمح بالاستقرار الطويل اللازم للتعلّم والتحصيل؛ ولهذا كان التعليم في نجد منحصراً إلى حد كبير في بلدان الحاضرة التي استقر فيها السكان، بينما ظلت مناطق البادية شبه خالية من النشاط العلمي المنظم.

وقد ترتب على ذلك أن تميّزت الحياة العلمية في نجد قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي بطابع محلي محدود النطاق، يعتمد على العلماء المقيمين وحلقاتهم الصغيرة، دون أن يتطور إلى مؤسسات تعليمية واسعة، ومع ذلك فإن هذا النشاط المحدود شكّل النواة التي قامت عليها الحركة العلمية فيما بعد، عندما تهيأت الظروف السياسية والاجتماعية والمتمثلة بالدولة السعودية الأولى⁽¹⁾.

ويمكن تقسيم التعليم في نجد في تلك الفترة إلى مرحلتين أساسيتين، المرحلة الأولى: وهي المرحلة الابتدائية (الكتاتيب)، وكان يتولاها المعلّمون في المساجد أو في بيوت خاصة لتعليم الصغار القراءة والكتابة والقرآن وبعض مبادئ الفقه، والثانية وهي المرحلة المتقدمة، وتشمل الدروس في الفقه والحديث والعقيدة وعلوم اللغة، وغالباً ما كان يتولاها العلماء في الحاضرة دون البادية، وتشير المصادر

(1) البسام، أحمد بن عبدالعزيز: الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، دار الملك عبدالعزيز بالرياض، 1425هـ، ص 42-43

إلى أن هذه المراحل كانت نواة تكوين بيئة علمية داخل نجد، وأن التعليم انتشر خصوصاً في بلدان نجد الوسطى مثل العُيُنة⁽¹⁾، وشقراء⁽²⁾، وأشيقر⁽³⁾، والقصيم⁽⁴⁾.

ومن مظاهر الحياة العلمية كذلك اهتمام العلماء بالتصنيف والفتوى، حيث انتشرت الرسائل العلمية في المسائل الفقهية والعقدية، وأصبح لبعض العلماء تلاميذ يجلسون إليهم بانتظام، وتُظهر هذه البيئة العلمية المتواضعة رغم بساطتها مستوى من التفاعل الفكري والعلمي الذي هيأ الأرضية الفكرية لتواصل هذا الإقليم مع علماء الأقاليم الأخرى في الجزيرة العربية.

كما ظهرت مؤلفات فقهية مختصرة تعكس واقع البيئة النجدية، حيث تناولت مسائل الزكاة والبيع والأوقاف والنكاح والطلاق والموارث، إضافة إلى فتاوى تتعلق بالعبادات وأحكام البادية والحاضرة، وقد كانت هذه المؤلفات تُدَوّن بخطوط العلماء أنفسهم أو تُملَى على تلامذتهم ثم تُنسخ في نسخ محدودة تُتداول في القرى والمدن النجدية.⁵

لقد اتسمت اهتمامات العلماء الفقهية بطابع عملي، يعكس انشغالهم بمشكلات المجتمع، فكانت الفتاوى تعالج النوازل والوقائع الجديدة، مثل مسائل الديون والتعاملات التجارية، وأحكام

(1) العيينة: بلدة تقع شمال-غربي الرياض وتبعد عنها بمسافة تقدر 40 كم، عُرفت قديماً باسم العين نسبةً لوفرة عيون الماء فيها. تطوّر اسمها وحدودها مع الزمن، فكانت تشمل الجبيلة واليمامة وسدوس وما جاورها في فترات تاريخية مختلفة. أمّا اليوم فتمثل مركزاً محدوداً في نطاق الجبيلة وهجرة بوضة. بن معمر، عبد المحسن بن محمد: إمارة العيينة وتاريخ آل معمر دار المريخ للنشر، الرياض، ص 43-44.

(2) شقراء: محافظة في إقليم الوشم شمال غربي الرياض بنحو 185 كم، وتشكل مركزه الحضري والإداري. ويُرجّح أن اسمها مرتبط بلون أرضها أو بمهضة جنوبية كانت تُعرف قديماً بشقراء ثم انتقل الاسم إلى البلدة، ويُشار إليها في الروايات الجغرافية القديمة باعتبارها من أهم مواضع الوشم ومياهه، مما يعكس مكانتها في عمران نجد. العثمان، أحمد محمد: شقراء، دار طبية، الرياض، ص 5-9.

(3) أشيقر: من أقدم بلدات إقليم الوشم في قلب نجد، وتقع شمال غربي شقراء وعلى بُعد يقارب 200 كم عن الرياض ارتبطت تاريخياً بقبيلة بني تميم، مع ما عُرف عنها من عمرانٍ مبكر ووفرة في الموارد والزراعة والآبار، الأمر الذي جعلها من أبرز حواضر الوشم وأكثرها حضوراً في الروايات الجغرافية والتاريخية. القاضي، عبد العزيز بن حمد: أسرة القاضي في أشيقر وسدير، دار الأنصار، مصر الطبعة الأولى 1443هـ، ص 63.

(4) الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية للباسم، مرجع سابق، ص 43-44.

(5) الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية للباسم، مرجع سابق، ص 121 وما بعدها.

الرهن والوصايا، والحقوق بين الناس، وهو ما أكسب الحياة الفقهية في نجد طابعاً واقعياً نابغاً من حاجات المجتمع المحلي، وقد شكّل هذا النتاج الفقهي ركيزة أساسية للحركة الإصلاحية فيما بعد، إذ وجدت الحركة الإصلاحية بيئة علمية مهيأة للفهم والنقاش والاجتهاد في ضوء النصوص الشرعية.⁽¹⁾

المبحث الثاني: الروابط العلمية والفكرية بين نجد والحجاز:

مثّلت الروابط العلمية والفكرية بين نجد والحجاز ظاهرةً مميزةً في تاريخ الجزيرة العربية، إذ لم تكن تلك العلاقة مجرد تواصل جغرافي أو اقتصادي، بل كانت امتداداً حضارياً حافظ على وحدة الكيان الثقافي والديني في المنطقة، فالحجاز بحكم مكانته الدينية واحتضانه للحرمين الشريفين، كان مركز الإشعاع العلمي والفكري الذي يفد إليه طلاب العلم والعلماء من سائر الأقاليم، في حين كانت نجد تمثل البيئة المحافظة التي استقبلت ذلك الفكر واحتضنته ثم أعادت صياغته في قالبها المحلي وبرؤية جديدة.

لقد كانت الوحدة الدينية القائمة على مركزية الحرمين الشريفين عاملاً رئيساً في توثيق الصلة بين الإقليمين، وقد مكّن هذا التواصل المستمر من انتقال الأفكار والمفاهيم الدينية من الحجاز إلى نجد، سواء عبر العلماء أو عبر عامة الناس الذين يتأثرون بما يشاهدونه في مكة والمدينة من تعاليم وممارسات.

وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/السابع عشر والثامن عشر الميلادي، كانت البيئة الدينية في الحجاز مزيجاً من المذاهب الفقهية الأربعة، وعلى رأسها المذهب الشافعي، إلى جانب وجود بعض الطرق الصوفية، وكان لهذه الطرق أثرها الواضح في مظاهر التدين عند العامة من أهل الحجاز، إذ اختلط فيها ما هو مشروع بما تسرب من ممارسات بدعية، مثل التوسل بالأولياء وزيارة القبور والتبرك بها وقد تأثر بعض التجديدين بهذه المظاهر أثناء رحلاتهم للحجاز وغيرها من الأقاليم، فنقلوها دون قصدٍ إلى بيئتهم المحلية، فظهرت في نجد صور محدودة من هذه الممارسات، كزيارة بعض المواضع أو الأشجار وتقديس الأولياء ونحو ذلك.⁽²⁾

(1) الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية للباسام، مرجع سابق، ص 161

(2) ابن غنم، مرجع سابق، ص 174-181. حمزة، فؤاد بن أمين: قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة

مقابل ما كان يحدث في الحجاز كانت نجد تتميز ببساطة في أداء شعائرها وابتعادٍ نسبي عن المظاهر الشكلية ذات النزعة العاطفية أو المعقدة، لكنّ التواصل الديني المستمر مع الحجاز جعلها عرضةً لتأثير الفكر الصوفي وبعض النزعات الفقهية المقلدة، وهو ما لاحظته لاحقاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين وصف ما شاع في عصره من مظاهر الانحراف عن التوحيد الخالص، وقد أسهم هذا الواقع في بروز الحاجة إلى إصلاح فكري وديني يعيد إلى العقيدة صفاءها الأول، ويستند إلى النصوص الشرعية الثابتة لا إلى الموروثات الشعبية.

كما لا يمكن إغفال أن الحجاز كان في تلك الفترة يعيش حالة من التنوع الفكري والانفتاح الثقافي نتيجة اتصال الحجاج والتجار من مختلف البلدان، فانتقلت إلى نجد عبر هذا الاحتكاك أفكار واتجاهات متباينة، من فقهية وصوفية وكلامية، إلا أن البيئة النجدية بما تمتاز به من الصرامة في العقيدة والتمسك بالنصوص، أعادت قراءة تلك المؤثرات ضمن إطارها المحافظ، مما مهد لظهور خطاب إصلاح يوازن بين الانفتاح المعرفي والتمسك بأصول الدين والشرعية السمحة.

كما تعد مواسم الحج والعمرة من أبرز ميادين التواصل الثقافي والفكري بين الإقليمين، إذ شكّلت ملتقى سنوياً يجتمع فيه العلماء والتجار والحجاج، فتُداول فيه المعارف، وتُناقش القضايا الدينية والفكرية، وتنتقل عبره الكتب والمخطوطات والأخبار، وكان النجديون من أكثر الوافدين إلى الحجاز في تلك المواسم، حتى أصبحت رحلاتهم المتكررة مصدراً مهماً لاكتساب المعارف والاطلاع على أحوال العالم الإسلامي، ومن خلال تلك اللقاءات تعرّف النجديون على مدارس فكرية متعددة، ومذاهب فقهية مختلفة، واتجاهات متباينة، مما أثّر في الوعي الديني والفكري في نجد آنذاك.⁽¹⁾

كما أسهمت القوافل التجارية بين نجد والحجاز في تعميق هذه الروابط، فلم تكن التجارة محصورة في تبادل السلع، بل كانت وسيلة لتبادل الثقافات والعادات والتقاليد، فنُقلت من خلالها أنماط اللباس والعمارة وبعض المفردات اللغوية والعادات الاجتماعية، وكانت أسواق مكة والمدينة

الأولى 1423هـ، ص 97

(1) المنقور، أحمد بن محمد: لفواكه العديدة في المسائل المفيدة، طبعة المكتب الإسلامي بدمشق، عام 1380هـ 342/1-

مجالاً للاحتكاك بين التجار والعلماء والأدباء، حيث تُداول الأحاديث، وتُعقد المجالس التي يجتمع فيها الفكر والدين والتاريخ، مما خلق بيئة ثقافية خصبة تربط بين المجتمعين.

كما كان للحركة السكانية والهجرات المتبادلة بين نجد والحجاز أثرٌ بالغ في تعزيز التواصل الفكري والثقافي بين الإقليمين، فقد شهدت تلك الفترة هجرات متبادلة لقبائل وأسر نجدية استقرت في الحجاز، وأخرى حجازية نزحت إلى نجد لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو دينية⁽¹⁾، وأسهم هذا التداخل السكاني في نقل اللهجات والعادات وأنماط التدين، في حين نقلت الأسر الحجازية إلى نجد بعض المظاهر الحضريّة في اللباس والعمارة والمعيشة وقد مثل هذا الامتزاج البشري جسراً حياً لتبادل الثقافات والمعتقدات، ومصدراً مهماً لتطور الوعي الاجتماعي والديني في المنطقتين.⁽²⁾

ومن الناحية الفكرية، تأثر بعض النجديين أثناء إقامتهم في الحجاز بما شاهدوه من انتشار الطرق الصوفية والمذاهب الفقهية الأربعة، فكان منهم من يميل إلى تقليد فقهاء الشافعية، ومنهم من يتأثر بما يسمعه من مشايخ الطرق الصوفية المنتشرة في مكة والمدينة، وقد نقل أولئك شيئاً من تلك المظاهر إلى نجد، فظهرت ممارسات دينية وصوفية محدودة، تعكس حالة التفاعل الفكري بين البيئتين ومع مرور الزمن، أدى هذا التنوع إلى بروز الحاجة إلى إصلاح فكري وعقدي يعيد التوحيد إلى صفائه.

إنّ هذه الروابط الفكرية والثقافية لم تكن أحادية الاتجاه، بل كانت حركة تفاعل متبادل، فكما تأثرت نجد بما في الحجاز من معارف ومناهج، كان للدعوة الإصلاحية⁽³⁾ التي قادتها الدولة السعودية

(1) أورد البسام في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون ثلثة من الأسر النجدية نزحت إلى الحجاز كأسرة الشيخ عبدالله بن سيف الشمري والشيخ حميدان بن تركي بن حميدان وأسرة الشيخ عبدالله بن إبراهيم آل قاضي وأسر أخرى حجازية نزحت إلى نجد كأسرة الشيخ جمعة بن جامع الهلالي وأسرة الشيخ عبدالرحمن بن حمد الثميري من قبيلة سليم الحجازية وأسرة الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الأنصاري وغيرهم .

(2) البسام، عبدالله بن محمد: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، دراسة وتحقيق: إبراهيم الخالدي، المختلف للنشر والتوزيع - الكويت الطبعة: الأولى 2000م، ص 107، 156، 157، 186 . البسام، عبدالله بن عبدالرحمن: علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الرياض 1419هـ 372/1، 492

(3) الدعوة الإصلاحية: ظهرت في نجد في منتصف القرن الثاني عشر الهجري تقريباً على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتهدف الدعوة إلى تصحيح ما فسد من عقائد المسلمين ونبد الشرك والبدع والخرافات وتحكيم نصوص الشريعة في جميع شؤون

لاحقاً أثر عميق في تجديد الفكر الديني في الحجاز، وفي إعادة صياغة المفاهيم العقدية والسلوكية في هذه المنطقة المهمة بالنسبة للعالم الإسلامي، وهكذا ظلّ التفاعل بين الإقليمين مثالاً على وحدة الفكر والثقافة والدين في الجزيرة العربية.

المبحث الثالث: الرحلات العلمية من نجد إلى الحجاز:

ارتبطت نجد بالحجاز ارتباطاً وثيقاً منذ العصور الإسلامية المبكرة، إلا أن هذا الارتباط أخذ بعداً علمياً بارزاً في القرون المتأخرة، خاصة في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، فقد أدرك النجديون أن الحجاز بما يحويه من الحرمين الشريفين وحلقات العلم يمثل المصدر الرئيس للمعرفة الشرعية؛ ولذا كانت الرحلات العلمية من نجد إلى الحجاز ضرورة علمية، وليست مجرد رغبة شخصية. كما أنتجت مثل هذه الرحلات حركة معرفية أغنت الحياة الفكرية في نجد، ومهدت الطريق لإمام الدولة السعودية الأولى لنشر الدعوة الإصلاحية.⁽¹⁾

وعند استقراء تاريخ تلك الرحلات نجد أنها انطلقت من عدة دوافع جعلت الطلاب النجديين يقصدون مكة والمدينة تحديداً لقدسيتهما بالدرجة الأولى حيث ارتبطت أغلبها بفريضة الحج، إذ كان الطالب النجدي يستثمر رحلته الدينية في طلب العلم والجلوس إلى كبار العلماء في أروقة وسواري الحرمين الشريفين، فكانت رحلاتهم ذات طابع ديني وعلمي في آن واحد⁽²⁾، خاصة في ظل تراجع الحركة العلمية في نجد نتيجة تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية في معظم الإمارات النجدية حيث اقتصر التعليم في نجد على بعض الكتاتيب المحدودة، وحلقات المساجد، وكانت معظم تلك الدروس موجه بشكل كبير لدراسة الفقه الحنبلي لأسباب معلومة، بينما ضمتا مكة والمدينة علماء في شتى العلوم من مختلف المذاهب والبلدان مما وفر للطلاب النجديين تنوعاً علمياً لم يكن متاحاً في بيئتهم النجدية.⁽³⁾

الحياة. انظر: تاريخ ابن غنام، مرجع سابق ص 214 وما بعدها

(1) علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، 11/1-12

(2) ابن حميد، عبدالله بن عبد الرحمن: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، دار المعرفة ببيروت، الطبعة الثانية عام 1399هـ،

تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، ص 215 0

(3) العثيمين، مرجع سابق، 33/1

كما شكّلت الإجازات العلمية أحد أبرز مظاهر التواصل العلمي بين نجد والحجاز في تلك الفترة، إذ كانت تمثل في الأوساط العلمية في نجد رمزاً للعلم والأهلية، وتُمنح بعد فترة من التحصيل والملازمة لأحد العلماء في الحرمين الشريفين، وكان الحصول على هذه الإجازة يُعدّ بمثابة إقرار علمي بكفاءة الطالب وتفوّقه، ويمنحه مكانة علمية واجتماعية بارزة في مجتمعه النجدي وغالبًا ما كانت تُمنح بعد حضور الطالب لدروس شيخه وسماعه لعدد من كتب الحديث أو الفقه أو الأصول، وقد اشتهر علماء الحجاز، وبخاصة علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة، بمنح الإجازات لطالبي العلم القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وكان لطلاب نجد نصيب وافر منها، حيث ورد عند ابن غنام أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان ممن أخذ الإجازة من علماء المدينة من عدة طرق قبل رحيله إلى البصرة وأورد إسنادها. (1)

ولا شك بأن لنيل الإجازات من علماء الحرمين الشريفين كان له الأثر البالغ في الحياة العلمية والاجتماعية في نجد، حيث نقلت تلك الإجازات علوم الحديث والفقه واللغة بمناهجها الأصلية، وأسهمت في ربط البيئة النجدية بالحياة العلمية في الحجاز، كما منحت الإجازة حاملها درجة علمية تؤهله للارتقاء إلى نيل المزيد من العلوم التأصيلية في مختلف التخصصات الشرعية.

كما تجدر الإشارة إلى أن تلك الرحلات التي كان يقوم بها الطلاب النجديون كانت محفوفة بالمخاطر رغم أن عدد منها كانت بمرافقة الحجاج النجديين أو المارين بنجد إلى الحجاز، وكانت تلك المسالك متعددة، تبعًا لغرض الرحلة وحالة الأمن، فمن بلدان وادي الرّمة كانت القوافل تتجه غربًا حتى تبلغ مكة المكرمة، وهو الطريق الأشهر الذي عُرف بكثرة سلوكه من قبل العلماء وطلاب العلم والحجاج معًا، كما اتخذ بعض المسافرين طريقًا آخر شاميًا يمرّ عبر خيبر وصولًا إلى المدينة، وكان هذا الطريق يُفضل في فترات الاضطراب لما عُرف عنه من قدر من الأمن النسبي، ولأنه يُستخدم غالبًا من الراغبين في ملازمة العلماء بالمدينة، وفي بعض الحالات تتجه تلك الحملات بمن يصطحبهم طريقًا أطول يمر عبر تيماء ثم ينحدر إلى المدينة، خاصة في فترات الجفاف أو انعدام الأمن، ورغم ما اتسمت به هذه المسالك من مشقة وبعد مسافة إذ قد تستغرق الرحلة نحو أربعين يومًا على الإبل فإنها مثلت آنذاك جسرًا علمية ربطت نجد بالحجاز، وأسهمت في نقل العلوم

(1) تاريخ ابن غنام، مرجع سابق، ص 210-211

الشرعية والحديثية من علماء الحرمين إلى طلبة العلم النجديين، مما مهد لتكوين البيئة العلمية التي سبقت قيام الدولة السعودية الأولى. (1)

ومن الأمثلة البارزة على الرحلات العلمية التي قام بها طلاب العلم النجديون إلى الحجاز رحلة أسرة آل سيف النجدية الأصل، التي استقرت في المدينة المنورة، وبرز من أبنائها الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف الشمري النجدي (2)، أحد العلماء الذين تلقوا العلم في الحجاز وأسهموا في نشره، كما تُعدّ رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى مكة المكرمة لأداء الحج، ثم إلى المدينة المنورة لطلب العلم على الشيخ محمد حياة السندي والشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف، من أبرز النماذج التي تجسّد التواصل العلمي بين نجد والحجاز في تلك الحقبة، وقد تبعهم في ذلك عدد من طلاب العلم النجديين الذين ارتحلوا إلى الحجاز، فتلقوا العلم عن علمائه، ثم عادوا إلى ديارهم لنشر ما استفادوه، مما أسهم في تكوين بيئة علمية مؤثرة في نجد لاحقاً، فقد عاد هؤلاء الطلبة حاملين معهم كنوزاً معرفية ومصادر نادرة من الكتب والمخطوطات التي جلبوها من مكتبات الحجاز، فكانت نواة لتكوين مكتبات علمية محلية أسهمت في نشر الثقافة الدينية والفقهية بين العلماء وطلاب العلم، كما أدّت هذه الرحلات إلى نشر الفقه والحديث في نجد، إذ انتشرت كتب العلم التي كانت رائجة في الحجاز آنذاك، وصار الطلبة والعلماء في نجد يتدارسونها ويعتمدونها في التدريس والتعليم، كما أسهمت هذه الرحلات في تكوين طبقة من العلماء النجديين الذين جمعوا بين التحصيل العلمي داخل نجد وخارجها، وعليه يمكن القول بأن الرحلات العلمية بين نجد والحجاز مثّلت جسراً علمياً وثقافياً أسهم في صياغة ملامح النهضة العلمية النجدية في تلك الفترة. (3)

(1) علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، 1/265

(2) الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف النجدي، من علماء القرن الثاني عشر الهجري، أصله من قبيلة شمر، قدمت أسرته من المجمعة، وكان جده عبدالله الشمري هو الذي أنشأ البلدة عام 820هـ، ثم غادرت أسرته نجد واستقرت بالمدينة، ونشأ بها وتولى إمامة المسجد النبوي والإفتاء والتدريس فيه، عرف الشيخ إبراهيم بالعقيدة الصحيحة وتلمذ على يديه كبار علماء الحرمين، توفي بالمدينة عام 1140هـ. علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق، 4/6-10

(3) صديق، آمال رمضان، الحياة العلمية في مكة 1115-1334هـ، رسالة علمية غير منشورة بجامعة أم القرى، 1427هـ، ص192-193

المبحث الرابع: نجد والحجاز من التلقي إلى التجديد:

لاشك بأن إقليم نجد في القرون التي سبقت قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة الإصلاحية كانت تتأثر وتؤثر في البيئات العلمية في الحجاز والشام والعراق، خاصة في البلدان النجدية التي اشتهرت بالعلم والعلماء كأشيقر والعينة ونحوها.

من ذلك الرحلات العلمية النجدية إلى الحجاز، حيث ظهرت ملامح تأثيرها على الأوساط العلمية في نجد بصورة غير مباشرة، ففي مكة والمدينة تالقت الطرق العلمية والمناهج الفقهية المختلفة، وكان للحرمين الشريفين أثر عميق في تكوين الشخصية العلمية لطلاب العلم الوافدين من أنحاء الجزيرة العربية وبخاصة نجد التي كانت تفتقر آنذاك إلى الدروس العلمية المنتظمة في معظم بلدانها، حيث كانت دروس الحرمين الشريفين تزخر بعلوم الحديث والتفسير والفقه واللغة، فكان الحرم المكي يضم عشرات الحلقات، يدرس فيها فقهاء المذاهب الأربعة، ويتناولون متون المنهاج والشرح الكبير وصحيح البخاري والشمائل وغيرها من المتون المشهورة، بينما كان المسجد النبوي يحتضن دروساً في علوم الحديث والقراءات والتصوف والسلوك.⁽¹⁾

لقد اعتاد أهالي نجد أن يجعلوا من رحلات الحج والعمرة فرصاً لطلب العلم والسماع من شيوخ الحرمين الشريفين؛ فيقيم بعضهم أشهراً أو سنوات في الحجاز لتلقي العلم على أيدي أولئك العلماء، ولاشك بأن تلك الرحلات كانت سبباً في توسع الأفق العلمي النجدي وتنوع ثقافته الشرعية.⁽²⁾

ومن مظاهر التأثير الواضحة التي يمكن قراءتها من خلال تلكم الصلات العلمية بين الحجاز ونجد في تلك الفترة أن عدداً من الطلاب النجديين لم يتقيدوا بمذهب فقهي واحد، بل كانوا يتأثرون بالمذاهب السائدة في الحجاز، وخاصة المذهب الشافعي الذي كان له انتشار واسع في مكة والمدينة، فأصبحوا يميلون إلى تقليدهم في الفتوى والتدريس، في حين بقي بعضهم على المذهب الحنبلي وهو المذهب السائد في معظم البلدان النجدية.

كما تشير بعض المصادر التاريخية تأثر بعض النجديين الذين أقاموا في الحجاز بالطرق الصوفية المنتشرة آنذاك، التي كانت تُمارس في حلقات الذكر وفي الأروقة داخل المسجد الحرام والمسجد

(1) محمد بيومي، مرجع سابق، ص 71-79

(2) علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق 4/6-10

النبوي، حيث كانت تلك الطرق تركز على التزكية والذكر والكرامات، وأحياناً الممارسات المرتبطة بزيارة القبور والتبرك بالأولياء وقد حمل بعض النجديين عدداً من هذه الممارسات بعد عودتهم، فظهر أثرها في بعض القرى النجدية، مما جعلها محط نقد لاحق من علماء الدعوة الإصلاحية، وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي رأى فيها انحرافاً عن مفهوم التوحيد. (1)

لم تكن نجد في موقف المتأثر فحسب بل كانت تلك الممارسات الشريكية والمخالفات العقدية في الحرمين الشريفين تشكل حاجساً صامتاً عند بعض الطلاب النجديين بينما صدع بها البعض الآخر من أولئك الطلاب، وقد حمل رأيهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فبعد رحيله إلى مكة ثم المدينة، وجد الحجاز مركزاً مهماً للعلم، لكنه أيضاً مشبعاً بالممارسات الشريكية والبدعية، فقد رأى الناس يتبركون بالأحجار والأضرحة، ويستغيثون بالأولياء، ويشدون الرحال إلى القبور، وبينون القباب فوقها وقد أثرت هذه المشاهد في نفسه تأثيراً بالغاً، فانصرف بعد عودته إلى نجد إلى نقد تلك المظاهر وتصحيح العقيدة، معتمداً على ما تلقاه من علوم أصيلة في نشأته في بيت أسرته العلمية أولاً ثم رحلات الطلب المتعددة إلى الأمصار والتي منها الحجاز التي زارها لأول مرة حاجاً مع والده ثم عاد إليها منفرداً وكانت هذه الرحلة نقطة تحوّل علمي وفكري للشيخ، حيث بدأت ملامح تطور شخصيته العلمية من التلقي إلى النقد، يتضح ذلك جلياً من خلال مواقفه المشهودة في إنكار ما كان يفعله بعض الجهّال عند الحجرة الشريفة وكذلك حوار مع شيخه محمد بن حياة السندي، تلك المشاهد الحية التي رآها بعينه في المدينتين المقدستين وفي أظهر البقاع إلى الله كانت بمثابة الإرهاصات التي سبقت مرحلة التجديد التي انطلقت بتأييد ونصر من المؤسس الإمام محمد بن سعود في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي تقريباً.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج:

تبين من خلال هذه الدراسة أن العلاقة العلمية والفكرية بين الحجاز ونجد خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي كانت علاقة تأثير متبادل أسهمت في تشكيل البنية المعرفية في الإقليمين، كما كشفت المباحث السابقة عن تنوع مظاهر النشاط العلمي

(1) علماء نجد خلال ثمانية قرون، مرجع سابق 20/1

وطرق انتقال المعرفة والعوامل المؤثرة فيها، وختامًا يمكن مما سبق تلخيص النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال ما يلي:

1. تبين من الدراسة أن الحجاز شكّل البيئة العلمية الأقدم والأغزر إنتاجاً في الجزيرة العربية، وكان مركزاً لتلاقي العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقاليم، ومنهم القادمون من نجد.
2. أظهرت النتائج أن البيئة العلمية في نجد تأثرت بالحجاز في بداياتها، سواء من خلال الرحلات العلمية أو من خلال العلماء الوافدين الذين نقلوا علوم الحجاز ومناهجه التعليمية.
3. برزت بين الإقليمين روابط فكرية وثقافية قوية، تجلت في التواصل العلمي، وتبادل الكتب والمخطوطات، وتعدد المراسلات بين العلماء.
4. أوضحت الدراسة أن مواسم الحج والعمرة كانت عاملاً محورياً في توثيق الصلة العلمية بين نجد والحجاز، حيث تهيأت خلالها اللقاءات العلمية والمناظرات وتبادل المعارف.
5. كشفت الدراسة عن وجود أسر نجدية استقرت في الحجاز وأسهمت في النشاط العلمي هناك، ومن أمثلتها أسرة آل سيف وغيرهم ممن تولوا التدريس والإفتاء في المدينة المنورة ومكة المكرمة.
6. أثبت البحث أن الرحلات العلمية من نجد إلى الحجاز لم تكن مجرد طلب للعلم، بل كانت وسيلة لنقل الفكر والإصلاح الديني لاحقاً إلى نجد.
7. تبين أن العلاقة الفكرية بين الإقليمين انتقلت من مرحلة التلقي إلى مرحلة التجديد، حيث أصبحت نجد مركزاً علمياً فاعلاً بعد أن كانت متلقياً للمعرفة.
8. أظهرت الدراسة أن التأثير لم يكن أحادياً، بل تبادلياً؛ إذ تأثر علماء الحجاز بالمدرسة النجدية الإصلاحية، خاصة بعد القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.
9. تبين أن الروابط الاجتماعية، من مصاهرة وهجرات، أسهمت في ترسيخ الروابط الفكرية والثقافية، وكان لها أثر في نقل المعتقدات والممارسات بين الإقليمين.
10. أثبتت الدراسة أن وحدة الهدف الديني والعلمي بين الإقليمين أسهمت في الحفاظ على التواصل رغم البعد الجغرافي نسبياً واختلاف النظم السياسية في فترات متعاقبة.

المراجع

المراجع العربية:

- أبو عليّة، عبدالفتاح حسن. تاريخ الدولة السعودية الأولى، دار العلوم، الرياض.
- ابن بشر، عثمان بن عبدالله. عنوان المجد في تاريخ نجد، دار الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة، 1402 هـ.
- ابن بسام، عبدالله بن عبدالرحمن. علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الرياض، 1419 هـ.
- ابن حميد، عبدالله بن عبدالرحمن. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1399 هـ.
- ابن غنام، حسين بن أبي بكر. روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، تحقيق: سليمان الخراشي، دار التلوّثية، الرياض، 2010 م.
- بن معمر، عبدالمحسن بن محمد. إمارة العيينة وتاريخ آل معمر، دار المريخ للنشر، الرياض.
- البسام، أحمد بن عبدالعزيز. الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1425 هـ.
- البسام، عبدالله بن محمد. تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، دراسة وتحقيق: إبراهيم الخالدي، المختلّف للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 2000 م.
- بيومي، محمد علي فهم. الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري، دار القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2007 م.
- الجهني، عوضية بن متيريك. نجد قبل الوهابية، ترجمة: إحسان زكي، دار جصور للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2016 م.
- حمزة، فؤاد بن أمين. قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
- صديق، أمال رمضان. الحياة العلمية في مكة (1115-1334 هـ)، رسالة علمية غير منشورة، جامعة أم القرى، 1427 هـ.
- الزركلي، خير الدين بن محمود. الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- العتيبي، خالد بن ناصر. الطريقة الشاذلية عرض ونقد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1432 هـ.
- العثمان، أحمد محمد. شقراء، دار طبية، الرياض.
- العثيمين، عبدالله بن صالح. تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض.
- العمرى، عبد الهادي بن عوض. آراء ابن عجيبة العقديّة: عرضاً ونقداً، رسالة دكتوراه، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1441 هـ.
- الفاخري، محمد عمر. تاريخ الفاخري، تحقيق: يوسف بن عبدالله الشبل، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1419 هـ.
- الفاسي، محمد بن أحمد تقي الدين. -العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، دار الثقافة العربية، بيروت. -شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب، القاهرة.

القاضي، عبدالعزيز بن حمد. أسرة القاضي في أشيقر وسدير، دار الأنصار، مصر، الطبعة الأولى، 1443هـ.
المقوشي، منيرة بنت عبدالعزيز. إحياء الآثار: دراسة عقدية، دار الأمجد، الطبعة الثالثة، 1445هـ.
المنقور، أحمد بن محمد. الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، المكتب الإسلامي، دمشق، 1380هـ.
مؤلف مجهول. تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق: محمد التونجي، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى، 1404هـ.

ترجمة المراجع العربية:

- Abu 'Aliya, Abd al-Fattah Hassan. Tarikh al-Dawlah al-Sa'udiyah al-Ula. Dar al-'Ulum, Riyadh.
- Al-Bassam, Abdullah ibn Muhammad. Tuhfat al-Mushtaq fi Akhbar Najd wa al-Hijaz wa al-'Iraq. Study and editing by Ibrahim al-Khalidi. Al-Mukhtalif for Publishing and Distribution, Kuwait, 1st ed., 2000 CE.
- Al-Bassam, Ahmad ibn Abd al-Aziz. Al-Hayah al-'Ilmiyyah fi Wasat al-Jazirah al-'Arabiyyah fi al-Qarnayn al-Hadi 'Ashar wa al-Thani 'Ashar al-Hijriyyayn wa Athar Da'wat al-Shaykh Muhammad ibn Abd al-Wahhab Fiha. King Abdulaziz Foundation (Darah), Riyadh, 1425 AH.
- Al-Fakhri, Muhammad 'Umar. Tarikh al-Fakhri. Edited by Yusuf ibn Abdullah al-Shibl. King Abdulaziz Foundation, Riyadh, 1419 AH.
- Al-Fasi, Muhammad ibn Ahmad Taqi al-Din. -Al-'Iqd al-Thamin fi Tarikh al-Balad al-Amin. Dar al-Thaqafah al-'Arabiyyah, Beirut. -Shifa' al-Gharam bi-Akhbar al-Balad al-Haram. Dar al-Kutub, Cairo.
- Al-Juhani, 'Uwaydah ibn Mutayrik. Najd Before the Wahhabis. Translated by Ihsan Zaki. Dar Jusur for Publishing, Beirut, 1st ed., 2016 CE.
- Al-Manqur, Ahmad ibn Muhammad. Al-Fawa'ih al-'Adidah fi al-Masa'il al-Mufidah. Al-Maktab al-Islami, Damascus, 1380 AH.
- Al-Muqashi, Munirah bint Abd al-Aziz. Ihya' al-Athar: Dirasa 'Aqdiyyah. Dar al-Amajid, 3rd ed., 1445 AH.
- Al-Qadi, Abd al-Aziz ibn Hamad. Usrat al-Qadi fi Ashiqar wa Sudair. Dar al-Ansar, Egypt, 1st ed., 1443 AH.
- Al-Umari, Abd al-Hadi ibn 'Awad. Ibn 'Ajibah's Doctrinal Views: Presentation and Critique. PhD Dissertation, Department of Creed and Contemporary Sects, College of Usul al-Din, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, Riyadh, 1441 AH.
- Al-'Utaybi, Khalid ibn Nasir Al-Shadhiliyyah: A Presentation and Critique, Maktabat al-Rushd Publishers, Riyadh, First Edition, 1432 AH / 2011 CE.
- Al-Uthaymin, Abdullah ibn Salih. History of the Kingdom of Saudi Arabia. Al-Obaikan Library, Riyadh.
- Al-'Uthman, Ahmad Muhammad. Shaqra. Dar Tayyibah, Riyadh.
- Al-Zirikli, Khayr al-Din ibn Mahmud. Al-A'lam. Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, Lebanon.
- Bayoumi, Muhammad Ali Fahim. Al-Harakah al-'Ilmiyyah fi al-Madinah al-Munawwarah Iban al-Qarn al-Thani 'Ashar al-Hijri. Dar al-Qahirah, Egypt, 1st ed., 2007 CE.

- Hamza, Fuad ibn Amin. The Heart of the Arabian Peninsula. Library of Religious Culture, Egypt, 1st ed., 1423 AH.
- Ibn Bassam, Abdullah ibn Abd al-Rahman. Scholars of Najd over Eight Centuries. Dar al-Asimah, Riyadh, 1419 AH.
- Ibn Bishr, Uthman ibn Abdullah. The Title of Glory in the History of Najd. King Abdulaziz Foundation, 4th ed., 1402 AH.
- Ibn Ghannam, Husayn ibn Abi Bakr. Rawdat al-Afkar wa al-Afham li-Murtad Hal al-Imam wa Ta'dad Ghazawat Dhawi al-Islam. Edited by Sulaiman al-Kharashi. Dar al-Thuluthiyyah, Riyadh, 2010 CE.
- Ibn Humayd, Abdullah ibn Abd al-Rahman. The Abundant Clouds over the Tombs of the Hanbalis. Edited by Bakr ibn Abdullah Abu Zayd. Dar al-Ma'rifah, Beirut, 2nd ed., 1399 AH.
- Ibn Mu'ammār, Abd al-Muhsin ibn Muhammad. Imarat al-'Uyaynah wa Tarikh Al Mu'ammār. Dar al-Marikh for Publishing, Riyadh.
- Siddiq, Amal Ramadan. Scholarly Life in Mecca (1115–1334 AH). Unpublished Thesis, Umm Al-Qura University, 1427 AH.
- Anonymous Author. Biographies of Prominent Figures of Medina in the Twelfth Hijri Century. Edited by Muhammad al-Tunji. Dar al-Shuruq, Jeddah, 1st ed., 1404 AH





مجلة الجامعة الإسلامية
للعلوم التربوية والاجتماعية

معرفة
e-Marefa



المنظومة
ALMANDUMAH

Arcif
Analytics



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF EDUCATION
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH



Islamic University Journal For
Educational and Social Sciences

Islamic University Journal For Educational and Social Sciences

Refereed periodical scientific journal



Published four times a year in:
(March, June, September and December)

Issue

Volume

Month

Year

27

53

August / Rabi al-Awwal

2026 / 1448